SIBAWAYH Arabic Language and Education Vol.3 No.2 2022
eISSN 2716-5515 (34-47)

النقد التاريخي لدى الشيخ آدم عبد الله الإلَورِي: أصل قبائل يَورُبا نموذجًا

HISTORICAL CRITICISM PROPOUNDED BY SHAYKH ADAM ABDULLAH AL-ILORY: ORIGIN OF YORUBA TRIBE AS A CASE STUDY

Jamiu Saadullah Abdulkareem[1]*
[1]Department of Arabic Language, University of Ilorin, Nigeria
**Corresponding author: abdulkareem.js@unilorin.edu.ng*

Received: 12 Mar 2022, **Revised:** 5 Oct 2022, **Accepted:** 30 Oct 2022, **Published:** 31 Dec 2022

To Cite this Article (APA) : Abdulkareem, J. S. (2022). النقد التاريخي لدى الشيخ آدم عبد الله الإلوري: أصل قبائل يوريا نموذجا. : Historical criticism propounded by Shaykh Adam Abdullah Al-Ilory: Origin of Yoruba tribe as a case study. *SIBAWAYH Arabic Language and Education*, *3*(2), 34–47. https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol3.2.3.2022

To link to this article: https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol3.2.3.2022

الملخص

يعتبر التاريخ مجموعة الأحداث والوقائع التي صنعها طائفة من الأجيال الماضية، والتي تظهر آثارها في الأجيال الحاضرة في مجالات حياتها الاقتصادية والدينية والسياسية والعقلية وغيرها. ولا يتم تاريخ جيل إلا بتضمين جراثيم قبائلهم وعقائدهم الدينية، وآثار مظاهر حياتهم من ناحية الثقافة والمجتمع والسياسة والاقتصاد. وقبائل يَورُبا من أبرز القبائل الرئيسة في نيجيريا، كما تبعثرت إلى القارات العالمية، وأما بالنسبة لجغرافية أراضيها الأصلية فقد امتدت جذورها من الجنوب الغربي إلى ما وراء جمهورية بِنِينْ (الداهَومِي سابقًا) باختلاف المدن والأقاليم التي استوطنها ذراري أَودُودُوا الجد الأعلى لِيَورُبا. ومن عواصم تلك الأراضي: إلَيفَي، وأَويَولَي، وإكَويِي، قبل تملك أبنائه لأراضي أَورَنْغُنْ، وأَجَشَي، وكَيتُو، وسابَي... وغيرها. ولا يزال عرض تاريخ بلاد يَورُبا متداخل الاضطرابات والاختلافات على أفواه القاصّين وأقلام الكتَّاب حسب عقائدهم الدينية واعتمادهم على أساطير الأولين. ومن منقولهم ما هو معقول وما هو محتاج إلى الغربلة؛ ولذا قام العلاَّمة الإلوري –كأمثاله– بهذا الدور نقدًا تاريخيًّا موضوعيًّا. وهذه المقالة نموذجية لمساهمته في تصويب المفاهيم الخاطئة حول تاريخ أصل قبائل يَورُبا. وتم استخدام المنهج التحليلي للحقائق التاريخية المسرودة على ضوء النظرية التاريخية التي استأثرها الإلوري وعمل بها عند تناول أصل قبائل يَورُبا بالدراسة والتنقيب. ويبدو أن الإلوري حافظ على ضرورية اعتبار المراحل التاريخية عند دراسة الأحداث والوقائع. ونوصي بها كتَّاب التاريخ ودارسيه لتبقى أعمالهم التاريخية في سجل خالد نافع للأجيال الصاعدة.

الكلمات المفتاحية: النقد، التاريخي، الإلَورِي، قبائل–يَورُبا، نيجيريا.

Abstract
History is considered as documentation and exhibition of events that related to people and their living in the ancient time. It usually discusses many aspects of human life, such as the culture, religion, socio-politics and economy. Yoruba tribe in Nigeria and diaspora saw the need of documenting their own history and they did, but scholarly historians, in their documentations and studies, among them noticed many fabrications therein. Shaykh Adam Abdullah Al-Ilory, as an Arabic prolific writer, great Yoruba Mslim historian and literary critic, propounded a new theory which he derived from the Islamic historiography in writing the history of Yoruba and others. This theory does not give room for mythologies from unreasonable beautification of the events, as such will not conform to plausibility of human philosophy, let alone the scriptural facts. The major objective of this study was to present Al-Ilory's views on the said history of Yoruba who have wider clans in Nigeria and continue to extend to different countries, therefore, analytical method was used for this study. It is therefore recommended that the historical criticism propounded by Al-Ilory be adopted in the historical studies for retaining the viability of history documentation for the incoming generations.

Keywords: History, Criticism, Al-Ilory, Yoruba-Tribe, Nigeria.

المقدمة

يُعَدُّ عبد الرحمن السعدي وأحمد بابا التمبكتي وغيرهما من أوائل الكتَّاب في تاريخ الإسلام بنيجيريا، كما يُعَدُّ الإفرنج غير النيجيريين وهَوُسا بشمال نيجيريا من المتفرغين للكتابة عن تاريخ نيجيريا عامة، وعن بلاد يَورُبا خاصة، بما فيه البهتان والصدق، لاسيما بغض النظر عن الفكر الديني كما فعل سَمْوَيلْ جَونْسِنْ، والذين ساروا على منواله من غير المسلمين أو غير المتحمسين لدينهم الإسلامي.

ويعد العلاَّمة آدم عبد الله الإلَورِي – بما وهبه الله من آيات النبوغ والعبقرية، وما يمت إليها من غزارة العلم وسعة الثقافة، ووضوح التعبير وقوة الحجة – من أكبر الكتَّاب باللغة العربية في نيجيريا وفي العالم الإسلامي أجمع، ولا سيما في بعض المسائل التي أثارت الجدال العنيف، ولم تزل في إثارته بين مختلف الأمم بنيجيريا، وذلك لاختلاف الجراثيم التي نشأوا منها، وتباين مشاربهم الثقافية، والأكبر من كلا الأمرين هو تباعد عقائدهم الدينية. وقد بذل الإلوري جهده الجهيد في النقد التاريخي موجِّهاً فيه الجيل النشأ، ومتأبطاً هراوة الموازنة بين الأدلة التي لا بد من تمحيصها، حى يمكن التمييز بين الهادفة منها والداحضة.

أما هذه الورقة فستأتي صبابة دراستها باعتبار قنوات النقاط التالية، وهي نبدة عن حياة العلاَّمة آدم عبد الله الإلوري، وماهية النقد التاريخي، ومفهومه مراحلة لدى العلاَّمة الإلوري، وبلاد يَورُبا وقبائلهم في صفحات التاريخ، والنقد التاريخي التطبيقي لدى العلاَّمة الإلوري، وعرض نموذجي للنقد التاريخي في بعض الآراء والمفاهيم من قِبَل الإلوري.

نبذة عن حياة العلاَّمة آدم عبد الله الإلَورِي

هو الشيخ آدم بن عبد الباقي بن حبيب الله بن عبد الله الإلَورِي. شهد نور الحياة يوم الجمعة ببلده أمه واسا، بالقرب من زَوغَو، عاصمة بلاد دِنْدِ الداهَومِي سابقا، عام ١٣٤٠هـ الموافق ١٩١٧م. وقد حصل على مبادئ العلوم العربية والإسلامية بدهليز والده الشيخ عبد الباقي حتى أوان رجوعهم إلى مدينة إِلَورِنْ، فاستقر لهم المقام إلى عام ١٩٢٩م. ولما أخذت بهم يد الرحلة إلى إبادَنْ عام ١٩٣٤م، ألحقه والده بمعهد الشيخ صالح أيْسِنْ نِيَوبِوا نزيل إبادَنْ، ثم الشيخ عمر الأبهجي نزيل لاغُوسْ، وأخيرا تتلمذ للشيخ آدم نَمَعاجي الكَنُوي.

ثم ساقه الحظ إلى الأزهر الشريف عام ١٩٤٦م حيث انتدب للامتحان الشفوي، وحصل على وسام العلوم والفنون من جمهورية مصر العربية عام ١٩٨٩م، ومن جملة الموسومين غيره الأستاذ عباس محمود العقاد، والأستاذ عبد القادر إبراهيم المازني، وإحدى الكاتبات المصريات.

لقد سجَّلت له مقدرته التأليفية أكثر من مائة كتاب في قواعد اللغة، والبلاغة والأدب، والفقه والفلسفة، والتصوف الإسلامي، وقضايا الإسلام من حيث التاريخ والمسلمون، والشعب اليَورُبَوي وبلادهم، ونيجيريا وأمورها. ومن الكتب المؤلفة عن بلاد يَورُبا قبائلَ وحوادثَ؛ أصل قبائل يَورُبا، ونسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يَورُبا، وموجز تاريخ نيجيريا وغيرها.

ماهية النقد التاريخي

تأصل لفظ النقد من نقَد ينقُد نقدا إذا اختبر الإنسان شيئا ونقره ليميز جيده من رديئه. يقال نقَدَ الدراهمَ والدنانيرَ وغيرها نقدا وتنقادا: ميَّز جيدها من رديئها، ونقد الأدب: إذا أظهر ما في شعره ونثره من عيب أو حسن، وهو في هذا الصدد بخلاف نقَدَ فلانا الدراهمَ: بمعنى أعطاه إياها.

ومن المعلوم أن النقد دراسة الأشياء لغرض التمييز بين صحيحها ورديئها، أو التفريق بين حقيقتها وزيفها، ثم الحكم لها أو عليها. والنقد التاريخي لون من ألوان النقد الأدبي لأنه نص أو وثيقة أو حادثة، ولا بد من تحليل عناصرها، ووضع اليد على مواطن الجمال والقبح فيها قبل إصدار الحكم لها أو عليها، لأن التاريخ نفسه عمدة الحضارة ومنبع المعارف، وهو علم وأدب، ونقد وإسناد. ولكل فن من فنون الأدب أسلوبه وتقاليده الخاصة، وللتاريخ الذي نحن في صدده أسلوبه النقدي وتقاليده الفحصية.

أما الناقد الذي يعتمد على ذوقه الخاص وتأثره الشخصي، فإنه يقتضي الميل إلى تعليل قواعد مدوَّنة أو مقاييس محدودة قبل أن يكون نقده موضوعيا أو معتبَرا في المجالات العلمية والأدبية.

مفهوم النقد التاريخي ومراحله لدى الإلوري:

تعتبر ندرة المصادر إحدى المعضلات الكبرى للمؤرخين، حيث تقتضي تنمية أعمالهم الاكتشافات العلمية، وذلك لعملهم الدؤوب والتطوير المستمر لاستخراج الحقائق. وكان العلاَّمة الإلوري يري –حسب النقد التاريخي– أنه لا بد من أن يكون مصدره قائما على المشاهدة بالعيان، والتدوين قبل الذهول والنسيان، وذلك المعيار الذي كان يعول عليه في نقد الأخبار، والذي يتمثل في النقاط الآتية:

١) نقده لبعض الأخبار التي تتجمع الأدلة على ضعفها للروايات المضطربة.
٢) نقده للرواة الذين يروون الأخبار.
٣) نقده الخاص أو تذوقه لمقالات بعض المؤرخين، والمقارنة بينهم، وذلك الجانب الذوقي من جوانبه النقدية التطبيقية.
٤) نقده لشخصيات إسلامية كبيرة.
٥) نقد الرواة المتعصبين.

والعلاَّمة الإلوري يجمع الوثائق من عدة المصادر لتحرير بحوثه التاريخية، التي تبلغ عشرات المؤلفات، ومنها ما يتعلق بتاريخ الإسلام والعلماء بنيجيريا على وجه العموم، أو في بلاد يَورُبا ومدينة إلَورِنْ على وجه الخصوص.

أما الأمر عن مراحل النقد التاريخي كما بيَّنه الإلوري فهو كما صرح به في بعض كتبه حيث يقول: "كانت صلتي بالتاريخ على مرحلتين اثنتين هما مرحلة السماع والوعى مع الحفظ في الصدر، قبل مرحلة التدوين والكتابة والطبع والنشر".

هذا، وإن العلاَّمة الإلوري غير خارج عن ملة المؤرخين القدامي في استقراء الحقائق التاريخية، حيث إنه من المعلوم أن الإنسان لا يدفع دفعة واحدة على ظاهرة، وإنما ينطلق من ظروف وملابسات عديدة. ومن ثَمَّ نرى للعلاَّمة الإلوري– كما يُرى لغيره– تنوع تلكما المرحلتين الأساسيتين التي بيَّنهما إلى ثلاث، على ضوء ما أقره هَرِنْسَو، أستاذ التاريخ بجامعة لَندَنْ في أوائل القرن العشرين الميلادي.

"إن مراحل استقراء التاريخ تكاد تنحصر في ثلاث مراحل، في مقدمها مرحلة التجميع أي تجميع المواد، ومرحلة النقد أي مناقشة ما جمع، ثم مرحلة التأويل في الجمع من أشتات الخيال لصورة أقرب إلى ما تكون إلى الحق".

وسنأخذ المراحل الثلاث لنبين بها شخصية العلاَّمة الإلوري التاريخية.

أ) المرحلة الأولى: مرحلة التجميع، فهي لجمع المواد. شرع فيها العلاَّمة الإلوري في جمع الوثائق التاريخية ما استطاع جمعها من الروايات، أكثرها شفهية لأنه لم يك ثَمَّ مراجع عامة عربية يصح الاعتماد الكلي عليها، والمراجع الإنجليزية الموجودة من المستشرقين، مقصود فيها للأمة المتدينة بالإسلام أو القبائل، سياقهم إلى معبرة الضلال، وفي ذلك يقول: "هذا، وقد اعتمدت على الروايات الشفوية على ما شاع واشتهر عند الشيوخ الكبار الذين لقيتهم منذ خمسين عاما قبل اليوم، وكانوا فيما بين السبعين إلى التسعين من أعمارهم حينذاك، وسلكت في جمع هذه الروايات مسلك رجال الحديث في النقد والإسناد".

ب) المرحلة الثانية: مرحلة النقد، فهي لمناقشة ما جمع. فإن الذي يكتب للحق –وإن كانت مراجعه من غير الوثائق العلمية الأصلية– يضارعه الدفاع للحق، وقمع البهتان والزور. لهذا استطاع العلاَّمة الإلوري أن يتقدم بالتاريخ الذي كان يكتبه لبلاده نيجيريا في أجناسه المختلفة، فهو الآن في مرحلة النقد، لرؤيته أن النقد أو الناقد –ومثله المؤرخ– بحاجة إلى مآخذ متعددة، ومعارف متنوعة، وحسن النظر والتثبت اللذين يفضيان بصاحبهما إلى الحق أو ينكبان عن الزلات والمغالط، وذلك لمقايسة الشاهد للغائب، والحاضر للذاهب.

لقد اعتمد العلامة الإلوري لتحقيق ذلك على قاعدتين أساسيتين وضعهما الأستاذ ساطع الحصري في تعليقه على مقدمة ابن خلدون:

١) تمحيص الأخبار، بالنظر في مبلغ صدق الرواة وأمانتهم واعتمادهم على المشاهدة أو السماع.
٢) تعليل الوقائع، بالبحث في حدوثها وأسبابها، ودواعيها وما تعاقب عليها.

وتانك القاعدتان مؤهِّلتان للمؤرخين حيث لا يتسلح بأسلحة التشيع للآراء والمذاهب، كالتعصب القبلي عند الأمم، والتعضب الديني عند الفِرَق الإسلامية، وكذلك للرجوع إلى قاعدة التعديل والتجريح، بقصد رفع

التلبس عن الناس في الوقائع والحوادث والأخبار، وقصد الوصول إلى الأغراض والمنافع. يرى هذا كله بعد تضلع العلاَّمة الإلوري من كثرة السماع والوعي مع الحفظ في الصدر قبل التدوين والكتابة مع الطبع والنشر.

أما الأولى والثانية من المراحل فهما تتحققان بسماع المورخ ممن شاهدوا الأخبار بالعيان أو سمعوها من الثقات لديهم، وكذلك بلقائه مع بقايا أسرة من صنعوا هذا التاريخ، ثم دراسة الكتب التاريخية المشهورة لتاريخ العالم أو القارات، مثل تاريخ السودان لعبد الرحمن السعدي، وتطريز الديباج لأحمد بابا التمكتي، وذلك في تاريخ البلاد والأمم؛ ومن بعده الاطلاع على الكتب العربية المخطوطة، وقليل من الكتب المطبوعة بالإضافة إلى الكتب الإنجلزية المعتمدة لتاريخ إفريقيا ونيجيريا.

ج) المرحلة الثالثة: مرحلة التأويل. فهي للجمع من أشتات الخيال لصورة أقرب إلى ما تكون إلى الحق. تعد هذه المرحلة نوعًا نهائيا من المراحل التي يجري عليها استنباط الحقائق التاريخية، وذلك بعد مرور حقبة طويلة من الزمن على تلك الحوادث والأحداث وسير الشخصيات، فتبحث في العلل التي هي أسباب وقوع الأخبار. لقد استهل العلاَّمة الإلوري بقبس من هذه المرحلة في تحقيق الأخبار، كما فعل لكتاب "أخبار القرون من أمراء بلد إلورن" للشيخ أحمد بن أبي بكر إكَوكَورَو، في تنقيح ما فيه من الأحداث ووضعها على الصراط المستقيم الذي يعقلها العقل والنقل في مثل هذا الصدد. فالعلاَّمة الإلوري من أوائل المحققين للأخبار والوقائع، ويستحسن اقتداء الخلف من المورخين بمنهجه في تصقيل الحقائق التاريخية تأويلا وتعليلا.

بلاد يَورُبا وقبائلهم في صفحات التاريخ

عرفت نيجيريا –التي انبثقت منها بلاد يَورُبا – بدولة أفريقية عظمي جغرافيا وسكانا، تحدها شمالا جمهورية النَّيجَرْ، وجنوبا خليج غِينِيا، وغربا جمهورية بِنِينْ، وشرقا جمهورية كمَيرُونْ. وهي قلب دول أفريقيا قديما وحديثا لرحبة مساحة أرضها البالغة ٧٦٨، ٩٢٣ كِلَومِتَرْ مربعا، ولضخامة سكانها الذين يبلغ عددهم ٨٠٠، ٢٦٠، ١٥٠ نسمة، ولثرواتها المعدنية والزراعية الهائلة، وقد رزقت بأنهار سائلة، منها نهر النَّيْجَرْ، ونهر بَنُوَي، وبعض النهيرات.

أما حياتها الاقتصادية، فهي تتوقف على الزراعات والمواشي، والأجراج والمعادن، الأمر الذي جعل أهلها يحترفون بالتجارة والصناعة والزراعة والمعدنيات، وإن اختلفت المزروعات من كَسافا والبقل والذرة في الجنوب أو اللوز وبقية الفواكه في الشمال، والثروة البَتْرَولية في الشرق. ومن ضمن معادنها القصدير والكَولُمْبَيْتْ، والفحم الحجري، والنفط والرخام، وحجر الكلس. ولاعتدال نيجيريا بمنطقتها الاستوائية، يُشهَد لها من الغابات،

الأعشاب والغابة الكثيفة والنباتات غير الجذرية، الأمر الذي يقتضي اختلاف حرارتها وبرودتها في الشمال والجنوب.

وأما الجاليات في نيجيريا، فهم ألوف من الأفارقة والأجانب الإفرَنْج من أوربا وأمريكيا وآسيا، ويرجع تاريخ بعضهم إلى عصر ما قبل الاستعمار، والآخرين إلى وقت الاستعمار بصفة التجار أو المبشرين المسيحيين والقاديانيين الأحمديين، ويعني ذلك أنه ليس الشعب النيجيري على دين واحد بل لهم عقائد متباينة، وفي مقدمها الإسلام والوثنية، ولم تتوغل المسيحية في بلاد نيجيريا إلا في مستهل القرن الماضي، شأن المملكة البَرْنَوية الإسلامية في القرن الثامن عشر الميلادي ثم الفُلانية الفُودية الإسلامية، فلم تعرف المسيحية هذه البلاد إلا في القرن الخامس عشر الميلادي على أيدي البرتُغاليين الرحَّالة، ولم تكن معتنقة حتى القرن الثامن عشر الميلادي، واستهلت في أبَيكُوتا عام ١٨٠٨م، ولاغُوسْ عام ١٨٤٦م.

وبلاد يَورُبا جنوب نهر النَّيْجَرْ في الامتداد شمالا وشرقا، وإلى المحيط الأطلسي جنوبا، وحدود الداهَومِي غربا. ويعود تاريخ قبائل يَورُبا إلى نحو ألف سنة، حيث يعمرها قوم من البرابرة والزنوج والنوبة قبل نزول يَورُبا الذين هم من العرب، وأقدم بلادهم إلَيفَي، ثم أَويَولَي ثم إيكَوبِي قبل نزوح القبائل المنتشرة.

وتمتاز أراضيها بالتلال والمرتفعات، والأراضي المكسوة بالحشائش الطفيفة والشجيرات القصيرة فيما يلي النهر، بينما يميز جنوبها المنحدر الغابات الكثيفة، والباسقات الطويلة عشاء الحيوانات، ومن جبالها العالية إبَيتِي وإدَنْرَي وأَولُوما، ويزينها ينابيع فياضة مثل أَوشُنْ وبعض نهيرات سائلة.

كثر منهم عبدة الطبيعة كالشجر، ومن آلهتهم زَنْغَو وأَوغُنْ وأَوباتَلا، وشاعت عندهم التقاليد الجاهلية في أيام العيد وغيرها. وتمتد مملكة يَورُبا القديمة إلى جماهيرية بِنِينْ بشؤون الاستعمار السائدة عند ملوكها وأقيالها، وكثيرا ما تقع النسوة عوامل التعبد للأصنام ورواقص بقصور الملوك.

وبالنسبة للحديث عن قبائل يَورُبا، فقد تناول تاريخَهم كتَّاب كثيرون، بين المسحيين والمسلمين، منهم من يزعمون أن أهل مدينة (إلَيفَي) أول الخلائق، وأنه منهم نزح الناس إلى كافة أنحاء الأرض المعمورة، وأن والدهم الأصلي (أَودُودُوا) مرسل من إله السماء (أَولَودُومارَي)، ومن السماء هبطت زوجته (أَولَوكُنْ)، وأن اسم إلَيفَي من أمر أودُودُوا للأرض للانبساط. هذا ما عرفه يَورُبا حتى القرن الثاني عشر الميلادي. ولما جاء المسلمون الذين عقلوا خلافية الأسطورة لكتابهم السماوي لسبق تاريخ مكة، والأمم المتقدمة في مصر والروم واليابان واليونان والعرب والفرس، وأخيرا حدث التراجع عن هذه التخمينات، ولاسيما فيما كتبه أدَي ماكِنْوا في أوائل الستينيات، وهو يقر

ما قد تراجع عنه سلفه بكون إلَيفَي المهدَ الأول للإنسان زاعما أن الله قادر على أن يخلق آدم الذي عرفه رجال الدين بأول إنسان في مكان، كما خلق الملائكة في عالم، والجن في عالم آخر، وكذلك خلق أَودُودُوا في مكان غير الأرض التي سكنها آدم أول مرة. ومن تلك الخرافات أن سفينة نوح التي رست على جبل أراراط على ضوء تعليم التوراة فليست عندهم على ذلك الجبل بل على جبل عَورَهْ في بلاد إلَيفَي. ومن يَورُبا من يقول أو يقر أن قبيلتهم من خلف النازحين من مكة بعد أن طردهم يعرب بن قحطان.

يبلغ عدد الشعب اليَورُبَوي ٥٠٩، ٣٢٠، ١١ نسمة عام ١٩٦٣م ماعدا المتوزعين منهم في مختلف أقطار غرب أفريقيا كالداهَومِي (بنين)، وسِيراليُونْ وساحل العاج وتَوجَو والبرازيل، فلم يجمعهم وحدة اللغة والأصل والعادة. وقد بلغ عددهم الآن ١٠٥، ٢٦٠، ٥١ نسمة عام ٢٠٠٧م.

وفي الأمر عن العلاقة بينهم وبين مكة، فقد اعتمد الشيخ زغلول على قول شَيفَ بَدا في تاريخ أويو: "أن يَورُبا أتى جدهم الأعلى من مصر عام ٧٨٢م، وهي مهدهم الثاني بعد مكة، وذلك من الآثار اليدوية الباقية في إلَيفَي، مهد اليَورُباويين".

وقد أيد ذلك الدكتور لَوكاسْ للتجانس بين يَورُبا والعربية، إذ نزحوا من مصر، ثم وصلوا إلى السودان، وأخيرا إلى منطقتهم الحالية. ويرجع تاريخ وصول يَورُبا إلى إلَيفَي -إذ ليست موطنهم الأول -إلى ما بين عام ٧٠٠-١١٠٠م.

النقد التاريخي التطبيقي لدى العلاَّمة الإلوري:

لقد ساهم أغلبية المؤرخين القدامي في إثراء مكتباتهم بحقائق بلادهم وأخبار رجالها التاريخية، ومن قبل تاريخ نيجيريا قذائف تاريخية عن بعض دول غرب إفريقيا، والتي سبق إلى الكتابة فيها السعدي في "أخبار ملوك سُنغايِ وعلمائها"، وأحمد بابا التمكتي في "تطريز الديباج" وفي "مراقي الصعود"، ثم السلطان محمد بلُّو في "إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور".

أما العلاَّمة الإلوري فكان مؤرخا ناقدا في كتبه الأدبية والتاريخية، والتي كانت الكتب المحبذة في قبائل يَورُبا من مؤلفاته الكثيرة، وذلك للإسفار عن حقائق قبائل شعب يَورُبا التاريخية، ومنها نسيم الصبا، وأصل قبائل يَورُبا من مؤلفاته الكثيرة، وذلك للإسفار عن حقائق قبائل يَورُبا التاريخية، ومنها نسيم الصبا، وأصل قبائل يَورُبا وموجز تاريخ نيجيريا بمنهجيته الصائبة في التحقيق.

لم يكن صنع التحقيق لبعض الحوادث الكبرى في التاريخ سهلا وميسورا، ولا سيما عند كثرة الروايات، لأنّ الباحث قد لا يهتدي إلى رأي قاطع أو حكم صحيح محبذ. وإذا تعددت مصادر الروايات أو مشارب رواة الأخبار، يمكن الباحثَ التسلحُ بالنقد من تحليل وتحقيق، ومقابلة الروايات بعضها ببعض، بالصبر والأناة، مع الرجوع إلى كثير من المصادر القديمة، واستخراج وثائق جديدة إن أمكن ذلك. ومن الحق أن تاريخ بلاد يَورُبا يكتنف كثيرا من هذه القضايا، وتلك الروايات التي تحتاج إلى بحث عميق قبل إثبات وجودها وكيانها أو رفضها وإنكارها.

كانت الروايات عن أصل قبائل يَورُبا في زمن قديم، روايات شفهية ومضطربة أو متناقضة، لتخلفهم في إجادة الكتابة، وللعامل التعصبي، واختلاف المشارب والعقائد، ومع ذلك استطاع الإلوري تنقيحها وردها إلى وجهها الصحيح، لتسلم تلك الروايات من الغموض والإيهام، ومنها:

١) تحويل الأساطير إلى حقائق التاريخ كرد (أودُودُوا) إلى اسم قبيلة من النوبة والبجة والبربر في أعالي مصر، وهي معروفة بقبيلة (هَدُندُوَة)، وكذلك تحويل (إلَيفَي) بمعنى متسع الأرض إلى (إلَي إيفَي) بلد المحبة، وهجرتهم من الشرق المجهول إلى بلاد العرب في آسيا، ثم إلى إفريقيا شمالا وغربا حتى وصلوا إلى هذه البلاد.
٢) البيان بأن الدافع إلى استخلاص ذلك كله، هو وجود التجانس والتقارب بين اللغتين العربية واليَورُبَوية، وكذلك عامل الجوار بين قبائل يَورُبا وبَرْنُو، وبَرْغُو ونُوفِي.
٣) وأنّ الزنوج لم يكونوا الجد الأعلى ليَورُبا، ولا من بلاد العرب، بل اختلط معهم يَورُبا من مسرحهم الأصلي، ولم يكن أصلهم من يعرب بن قحطان، لأن يَورُبا محرفة من "عرب" التي هي توأمة "يعرب" وضعا ومعنى، ولأن الزنوج تقترب عاداتهم إلى الحيوان العجم لتباين أخلاقهم عن أخلاق البشر السوية.
٤) وأن موطن يَورُبا الأصلي هو أرض "مالي" أو أرض "كوَكَو" التي كانت سكانها الأصليين قبيلة "يَرُبا"، كما أفادنا بها الرحالة أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري في كتابه "مسالك الأبصار".
٥) وأن قول السلطان بللو أن يَورُبا من بقايا بني كنعان الذين هم عشيرة نمروذ من آثار الروايات الشفهية التي لم تغربل، فهي غير منقولة من كتاب سابق، وغير مبنية على أساس تاريخي سابق.
٦) وأن إطلاق كلمات أناغَو من (نَيغْرَو)، وأكَو من (كَوكَو)، وأكَوكَو لموطنهم الأول لا يستنكر كون المسمى بتلك الأسماء ليَورُبا.

لقد استطاع الإلوري أن يروي الغليل ويشفي العليل في استقصاء أصول قبائل يَورُبا، وأخبارهم وعقائدهم، وذلك أن تناول فيها مواقف نقدية، وتصويبات روائية، طبعها مرتين أو ثلاث مرات، مسلِّطا فيها

الأضواء على الجوانب الغامضة. ومن الأعجب أن طائفة من المورخين يرون له تناقضات فيما كان يرويها من الحقائق، وذلك لعدم تتبعهم لمراحله التاريخية، كما أسلفنا فيها القول. وبعض المؤرخين الآخرين يرون أنه لا يقبل الوثائق التاريخية من غيره، وهذا خلاف الواقع، لأنه يعرض علينا الروايات إلا أن معظمها من المستشرقين أو الغرب، لا يقدرها تقدير مصدر السماع والوعي، ولا يحبذها كما يفعل في مقابلة الأُسَر صانعي التاريخ، وفي مصدر الكتب التاريخية المشهورة ومصدر الاطلاع على الكتب العربية المخطوطة بالإضافة إلى الكتب الإنجليزية المعتمدة لتاريخ أفريقيا، وقد روى –قبل التنقيح– من كتب المؤرخين أمثال سَمْوَيلْ جَونْسِنْ، والسيد كْلارْكْ، والسيد كامْبَيلْ رَوبَرْتْ، والسيد زُولُو الإلوري، والأسقف أَوجَو بادا، والسيد مايْكَيلْ كْراوْثَرْ، والدكتور سْتِيفانْ، وغيرهم من الكتَّاب المسلمين كالسلطان محد بلُّو، والشيخ أحمد بن إكَوكَورَو الإلوري".

وكان العلاَّمة الإلوري يعتمد على روايات الشيخ محمد بن مسَني الكنْسِناوي فيما روى عنه محمد بللو[٢٣] عن أخبار يَورُبا منذ أربعمائة سنة مضت، ونقلها إلينا الأخير في أوائل القرن العشرين الميلادي.

عرض نموذجي للنقد التاريخي في بعض الآراء والمفاهيم من قِبَل الإلوري:

لم يرحب الإلوري بالخرافات التي لم تكن على قدم وساق من تعاليم الكتب السماوية السابقة، ومثال ذلك كون (أَودُودُوا) الإنسان الأول في مكان آخر –على زعم بعض اليَورُبَويين، مع أن سفر التكوين بيَّنَ المخلوقات الأولى من السماوات وما فيها من الملائكة والأرواح، والأرض وما عليها من ظلمة وماء، وما أنبته الله من الأرض عشبا وبقلا وشجرا، ثم الجنة والنار، ومن بعدهما الناس الذين يعرف عرقهم الأساسي بآدم في جميع الكتب السماوية، وهكذا كان الأمر إلى عهد الطوفان من السلاسل البشرية في عقائد بني إسرائيل وما بعدهم من الأنبياء. والأمر المخبر به على عدم الصدق كما زعم المؤرخون اللادينيون، لكيانهم على ريبة بين النصارى والوثنيين.

ومن المفاهيم التي قام العلاَّمة الإلوري بإصلاحها، كون (إلَيفَي) مهد الإنسان الأول، بيد أنه يسوغ الاحتمال لمكة في كونها أول بيت وضع للناس كما ظهر في نص القرآن، وأن القول بأن يَورُبا خلف النازحين من مكة بعد أن طردهم يعرب بن فحطان، وقد أنكر ذلك بعضهم، بل تحولوا إلى أن أن أصل الإنسان قرد، الأمر الذي اقتضى الخلاف بينهم وبين رجال الكتب السماوية، لأنه لم يكن قوم قرودا إلا من قوم موسى العاصين الذين صاروا قردة خاسئين بعصيانهم في يوم السبت، ولم يسمع من التاريخ غيره.

ومما يضاف إلى ذلك تقدير عمر البداية للإنسان الأول المزعوم عند يَورُبا بـ(أَودُودُوا)، حتى ولو فعل ذلك الجيَولَوجِيون من خلال اكتشافاتهم، فإن ذلك التقدير العمري ظني غير قطعي، تبعا لقوله تعالى: "ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم، وما كنت متخذ المضلين عضدا"، وليس هناك خلق يقال له

آدم غير آدمنا المعروف، كما زعم بعض المفسرين في تفسير (أتجعل فيها من يفسد فيها)، كأن الملائكة قد عرفوا فريقا من البشر قبل خلق الله لآدم، وقد بيَّنَ ذلك شكيب أرسلان.

تمادي الإلوري في بيان الاختلاف في أصل الزنوج الذين هم الأفارقة –ومنهم يَورُبا، فإن الحقيقة هي أن هناك زنوجا بيضا، وزنوجا سودا قبل انحدار السود منهم إلى أفريقيا من تتابع الحروب أو الاستعباد الملكي وغير ذلك. وليس من المعقول أن يقال بأنّ الوالد استولى على أولاده فصار ملكا، أو أن يكون راعيا وأبناؤه هم الرعاة، وقد امتلك أولئك الأبناء بلاد يَورُبا في نيجيريا، وقد تملك أكبرهم مدينة (بِنِينْ) في القرن السابع عشر الميلادي، وإلاجَي بالشرق الشمالي من مقاطعات أَوشُنْ بين أوبَومَشَو وإكِرُنْ، وهو بامية باسم (أَورَنْغُو)، والثالث على مدينة (كَيتُو) التي امتدت مملكتها إلى جمهورية الداهَومِي بحكم التقسيم من مؤتمر الصلح في أبريل ١٨٨٤م، والرابع متملك على مدينة (سابَي) والخامس على (أجاسَي) باسم أَولُوبَو في ولاية كْوار، والسادس بمدينة (إلَيفَي)، ولكنه نسب عن نفسه حاكما باسم عَوِني، بمعنى ليس لك الملك، فاستولى على أَويَو، وسابعتهم التي أنجبت ملك (عَوهَو) المندمجة قبائله مع مدينتي إبادَنْ وأبَيكُوتا. أما اختلاف لهجاتهم فبمقتضي تباين بيئاتهم، وقد سماهم غيرهم بـ (أناغَو) تحريفا لكلمة نَيغْرَو، بينما يزعم بعضهم أن أناغَو تختص بيَورُبا المنحدرين من البرازيل.

لم يعن القول أن جميع بلاد يَورُبا لم تكن على دين أو عقيدة سالفة كما قال أحمد بابا التمبكتي، وقد خالف ما أثبته كتاب الذي سبقه إلى كتابة تاريخ يَورُبا، وهو أزهار الربا في أخبار بلاد يوربا للشيخ محمد بن مسَني الكتْسِناوي.

استطاع الإلوري أن يعرض روايات العالم الكتْسِناوي في القرن الحادي عشر الهجري أو السابع عشر الميلادي عام ١٦٦٥م، والذي كتبه سَمْوَيلْ جَونْسِنْ عام ١٨٢١م، وإن أضاف روايات شفوية متواترة، ولقد اعتمد الآخران على أن يَورُبا من بقايا بني كنعان الذين هم عشيرة نمروذ، وأقاموا بالمغرب لما طردهم يعرب بن قحطان من العراق، فسلكوا بين مصر والحبشة.

لقد انتهى الإلوري إلى القول بأن كيان يَورُبا منذ أربعة قرون مضت دليل قاطع على أسبقيتهم ومملكتهم قبل كيان دولة ابن فُودي، وكان هذا من الأقاويل التي رواها السلطان محمد بلُّو، لأن لكنعان تاريخا طويلا من حروب ومدن أقام بها ذريته من اليمن والشام والعراق. والأمر الثاني هو عقلية طرد يعرب للزنوج اليَورُبَوبين ثم يتسمّون باسم طاردهم. والأخير هو بُعْد المسافة بين المكان المزعوم الطرد منه إلى أفريقيا.

ومن جوانب الخلاف التي تقتضي التمحيص، كون كتاب سَمْوَيلْ جَونْسِنْ من روايات الأساطير، والسلطان بلُّو، ورأيه الخاص ثم مشاهده، والذي يمكن إنكاره كثيرا كون (أودُودُوا) محبذا للدين الوثني أكثر من الإسلام الذي كان يتعبد به طارده يعرب بن فحطان، وأن المشردين من إلَيفَي كانوا بعد أن تغلب عليهم غيرهم – ومن ضمنهم شعيب، لذلك استطرد الإلوري بالإنكار العنيف لهذا الرأي، لأنه من غير المعقول أن يرى شعيب الذي حصلت له النبوة قبل موسى عليهما السلام، من المقاتلين بعد الإسلام.

أنكر العلاَّمة الإلوري أيضا القول بأن الأعمى المطرود في عهد محمد، طرد من مكة، فعبر النهر إلى مدينة (أَووَو) ثم إلى (آدَو)، ثم (بِنِينْ)، وأخيرا استقر في (إلَيفَي).[٢٨] أما الذي صوَّبه الإلوري، فهو الاحتمال بأن الداعية الهَوُسَوي في مدينة إلَيفَي في القرن الحادي عشر الميلادي، ثم ذكره تَوماسْ أرَونَلْدْ المؤرخ المستشرق–وقد جاء بمصحف– ربما يسمى شعيبا، وقد يخيَّل إلى جهلاء يَورُبا أنه جاء في عهد محمد.

لقد انتهى الإلوري أخيرا بعد إخراج النفاية من النقاية إلى أن أصل يَورُبا من العرب، ولا جدال في اختلاطهم بالزنوج الأفارقة عبر رحلاتهم بمصر وغيرها، عن طريق التجارة والصناعة، والحرب كالعبيد والأسياد.[٢٩]

يُرى الإلوري مؤيدا للرأي القائل بأن يَورُبا أبناء إخوة أو أبناء أعمام لبَرْنُو وغَوبِر ونوبة، هاجروا سوريا إلى هذه البلاد من آسيا، وتخلف النوبة في أرض (دَنْغَلا)، واستمر الباقون في السفر حتى وصلوا إلى هذه البلاد، واستدل بالشبه الكائن بين هؤلاء الأجناس في ملامحهم وسمات وجوههم التي يرسمونها على أصداغهم، وترى تلك السمات في وجوه النوبيين والسودانيين واليَورُبَويين على السواء.

ومن الأقاويل السارية على ألسنة الرواة، هو كون أصل يَورُبا من (إلَيفَى) بجدهم الأعلى–أَودُودُوا (العظيم الخالق) ابن أَولَودُومارَي (الخالق المبدع)، وزوجته –مارَيمِي (تحريف مريم). وقد جاء بقبضة من التراب على الأرض التي رأي معظمها محيطا من الماء، فتجمدت وأمرها أن تتسع. وهذا يباين إيمان أهل (أويَو) الذين قالوا إن جدهم الأعلى من مكة أو من مصر، أو من بلاد النوبة والبربر بمصر العالية، من أخبار الحروب بين نمروذ وشعيب، وإبراهيم ومحمد علي حد قول سَمْوَيلْ جَونْسِنْ وإن زعم غيره أن جد يَورُبا الأعلى من بَرِيعامْ بن سليمان، ولا وضوح لهذه الرواية مهما يكن الأمر.

الخاتمة

استطعنا تسليط أضواء في هذه الورقة على عملية النقد التاريخي النظرية والتطبيقية التي قام بها العلاَّمة الإلوري، ولا سيما في تحقيق الأحداث والوقائع بعد إقامة الفحص لها. وبالغنا في بيان ذلك العمل النقدي بواسطة الإسفار

عن مفهومه ومراحله في شخصيته التاريخية، وذلك بعرض بعض النماذج التي قام فيها بتصويب المفاهيم الخاطئة والآراء غير الصائبة، بعد شرح ماهية النقد التاريخي، وذكر بعض النقاط عن بلاد يَورُبا وقبائلهم عند المؤرخين، منتهين فيه إلى بيان منهج الإلوري التاريخي، كل ذلك بعد ترجمة حياته.

شكر وتقدير

يزجي المؤلف خالص الشكر والتقدير لكل من ساهم في هذه الدراسة إثراء لساحة البحث العلمي، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

إقرار المصالح

يؤكد المؤلف عدم وجود أي تضارب في المصالح.

المصادر والمراجع

الإلَورِي، أ. ع. أ. (١٩٩٠). نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوروبا (الطبعة الثالثة). القاهرة، مصر: مكتبة وهبة.

الإلَورِي، أ. ع. أ. (١٩٩٠). نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوروبا (ص. ١٢). الطبعة الثالثة. القاهرة: مكتبة وهبة. (مقتبس)

الإلَورِي، أ. ع. أ. (١٩٩٠). نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوروبا (ص. ١٤). الطبعة الثالثة. القاهرة: مكتبة وهبة. (مقتبس)

الإلَورِي، أ. ع. أ. (١٩٦٥). موجز تاريخ نيجيريا (الطبعة الأولى، ص. ٥٣). بيروت، لبنان: دار مكتبة الحياة.

الإلَورِي، أ. ع. أ. (١٩٩١). أصل قبائل يوروبا (الطبعة الثانية، ص. ١٤–٤٠). لاغوس، نيجيريا: مطبعة الثقافة الإسلامية.

الإلَورِي، أ. ع. أ. (١٩٩١). أصل قبائل يوروبا (الطبعة الثانية، ص. ٧٥). لاغوس، نيجيريا: مطبعة الثقافة الإسلامية. (مقتبس)

الإلَورِي، أ. ع. أ. (١٩٩١). أصل قبائل يوروبا (الطبعة الثانية، ص. ٨٥–٨٩). لاغوس، نيجيريا: مطبعة الثقافة الإسلامية. (مقتبس)

الإلَورِي، أ. ع. أ. (١٩٥٠). الإسلام في نيجيريا (الطبعة الثانية، ص. ٣٢–٣٤). القاهرة، مصر: مكتبة وهبة.

الإلَورِي، أ. ع. أ. (١٩٧٨). الإسلام في نيجيريا (الطبعة الثانية، ص. ٣٢–٣٤). القاهرة، مصر: مكتبة وهبة. (طبعة ثانية)

الإلَورِي، أ. ع. أ. (١٩٩١). من هنا نشأت وهكذا تعلمت حتى تخرجت (ص. ٥، ٨، ١٠). لاغوس، نيجيريا: مطبعة الثقافة الإسلامية.

الإلَورِي، ن. إ. ب. (٢٠١٠). سيف الجبار لتدمير أقاويل الأخبار (الطبعة الأولى، ص. ٩٣–١٠٣). كونو، نيجيريا: مكتبة جمعية الأبرار.

الفُلاني، أ. ي. ع. ر. (٢٠١١). مع المؤرخين (الطبعة الثانية، ص. ١٦٧–١٩٣). كانو، نيجيريا: مطبعة الإيمان.

الفُلاني، أ. ي. ع. ر. (٢٠٠١). مع رائد الفكر الإسلامي النيجيري في القرن العشرين (الطبعة الأولى، ص. ٩٦). إلورن، نيجيريا: مطبعة إبراهيم كيوليري.

زغلول، م. ا. س. (١٩٩١). روائع المعلومات عن أفريقيا وبعض ما فيها من الممتلكات (الطبعة الأولى، ص. ٢٠٠–٢٠٥). لاغوس، نيجيريا: مطبعة دار الدعوة.

زغلول، م. ا. س. (١٩٨٧). أزهار الربا في تاريخ بلاد يوروبا (الطبعة الأولى، ص. ٣٢–٣٤). بيروت، لبنان: شركة تكنوبرس.

الكنووي، أ. ن. (د.ت.). الاكتشاف المفيد في تاريخ نيجيريا (ص. ١٩). [دار طباعة غير مذكورة].

البدا، ش. (د.ت.). تاريخ أويَو (ص. ١٦). [طبعة خاصة].

لاتنبوسن، م. (د.ت.). تاريخ غرب إفريقيا (ص. ١٦). [دار طباعة خاصة].

الإلَورِي، أ. ع. أ. (د.ت.). نسيم الصبا (ص. ٢٨–٣٤). [طبعة غير محددة].

جونسن، س. (١٨٩٧). تاريخ يوروبا (ص. ١٤٣). [طبعة خاصة].

جونسن، س. (د.ت.). تاريخ يوروبا (ص. ٣٣). [مقتبس من الطبعة الخاصة الأصلية].

ماكينوا، أ. (١٩٦٤). مدينة إليفيا مهد الأوروبيين (ص. ٢٤–٢٧). [طبعة خاصة].

سلطان، م. ب. ب. ع. (١٩٦٤). إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور (الطبعة الثانية، ص. ٢٤). القاهرة، مصر: دار مطابع الشعب.

الكتسناوي، م. م. (د.ت.). أزهار الربا في أخبار بلاد يوروبا. بيروت، لبنان: [غير محدد].

عبد الله، ح. (د.ت.). بلاد الزنوج (الطبعة الأولى، ص. ٢٧). [دار طباعة خاصة].